**احتجاج ابن جني بالأمثال والقياس**

مبحث فى علم القراءات الشاذه

إعداد / أحمد محمد سمير

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

**Ahmedmsamir54@gmail.com**

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى احتجاج ابن جني بالأمثال والقياس**

**الكلمات المفتاحية – الامثال، ابن جنى، القياس**

* **.المقدمة**

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة احتجاج ابن جني بالأمثال والقياس**

* **.عنوان المقال**

**لم يغفل ابن جني الاحتجاج بالمثل على الشواذ، فلا يختلف مفهوم المثل عنده عما هو عليه عند سيبويه، فهو عندهم نظام نثري خاص يجعله في مخالفاته مألوف النثر مجرى الشعر، وقد استعان به ابن جني في تخريج بعض الشواذ، ولكنه لم يتجاوز في ذلك بعض المواقف نذكر منها على سبيل المثال: احتجاجه لقراءة أبي جعفر قال: "قل رب احكم بالحق" بقولهم: أصبح بليل واترك كر، فقد جعل رفع رب على حذف يا، وهو وجه ضعيف؛ لأنهم لا يجمعون بين حذف يا، والاسم الذي يجوز أن يكون وصفًا لأي.**

**أيضًا من الأمور التي احتج بها ابن جني على القراءات الاحتجاج بالقياس، ربما لا نضيف جديدًا إذا قلنا: إن ابن جني كان مغرمًا بالقياس، أو الاستدلال، والاستئناس، والمشابهات، وهو القائل: إن مسألة واحدة من القياس أعني من كتاب لغة عند عيون الناس، ولكن الجديد هو أن أبا الفتح استعمل هذا الجانب استغلالًا كبيرًا في تخريج الشواذ، واستعان به في الحكم على كثير من الوجوه التي لم يؤدِّها السماع، وقد أفاد في ذلك من اللغات المختلفة من تساند علومها، وبنى ذلك كله في قالب واحد؛ لكي يستفيد القارئ.**

**فلقد حمل ابن جني وجوه الشواذ على أسلوب القرآن والشعر، واللغات، وعلى بعض أقوال العرب، كما حمل بعضها على مسائل علم العروض، وعلى أشياء أخرى، فقد حمل زيادة الباء في اسم ليس في قراءة ابن مسعود "ليس البر بأن تولوا وجوهكم" على زيادتها في فاعل كفى من قوله تعالى: {ﯼ ﯽ ﯾ} [النساء: 79]، وجعل حذف النون في قراءة ابن أبي إسحاق "وبشر المخبتين والمقيمي الصلاة" مثل حذفها في الاسم الموصول الذين في قول الأشهب بن رميلة:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وإن الذي حانت بفلج دماؤهم** | **\*** | **هم القوم كل القوم يا أم خالد** |

**وحمل أيضًا تخفيف أف في قراءة ابن عباس: "فلا تقل لهما أف" على لغة من لغات العرب، وقاس حذف العائد في قراءة زهير الفرقبي {ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ} [الأنعام: 158] على قول العرب السمن منوان بدرهم، فقد ذهب إلى أن يوم مرفوع على ابتداء، وأن جملة {ﭥ ﭦ ﭧ} خبر عنه، والعائد محذوف، قال: وإذا كانوا قالوا السمن منوان بدرهم فحذفوا، وهم يريدون منه منوان مع قصر الكلام؛ كان حذف العائد لطول الكلام أسوغ، والتقدير: لا ينفع فيه، ولم يكن أبو الفتح يقتصر في القياس على القراءات الشاذة، بل كان يحمل أحيانًا بعض الشعر على القراءة الشاذة، ومن ذلك جعل قول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **بني ثعل لا تنكع العنز شاربها** | **\*** | **بني ثعل من ينكع العنز ظالم** |

**مثل قراءة طلحة بن سليمان: {ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ} [النساء: 78] فهو يرى أن قراءة طلحة على حذف الفاء الرابطة لجواب الشرط والمبتدأ، ثم حمل ذلك على قول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **من يفعل الحسنات الله يشكرها** | **\*** | **والشر بالشر عند الله مثلان** |

**ثم عاد فذكر بيت ظالم وقاس مجيء حذف الفاء منه حذفها من المضارع، وجعل العلاقة بينهما شبه اسم الفاعل بالفعل المضارع قال: فهو لشبهه بالفعل كأنه هو الفعل، فيصير إلى كأنه قال: من ينكع العنز يظلم.**

**وكان ابن جني يمزج في أقيسته بين وجوه الإعراب وسائر علوم النحو، فيحمل مثلًا وجهًا إعرابيًّا على مسألة صرفية، أو لغوية، أو عروضية؛ لأنه يؤمن بتساند هذه العلوم، فقد قال في (سر الصناعة): "أفلا ترى إلى تساند هذا العلم، واشتراك أجزائه، حتى إنه ليجاب عن بعضه بجواب غيره".**

**ومن هذه الأقيسة قياس وجه نصب "أدري" من قراءة {ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ} [الجن: 25] على فتح ياء المتكلم في مثل غلامي "أن أدريَ"، وقد جعل الشبه بينهما ضمير المتكلم، فالفعل مسند إلى ضمير المتكلم، والاسم مضاف إليه، ومن ذلك قياسه زيادة الباء في قراءة أبي جعفر: "يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار" على زيادة التاء في قولهم: فرسة وعجوزة في فرس وعجوز، وجعل الرابط بينهما الزيادة والتوكيد.**

**أما أصول قياسه فقد بدت من خلال جهوده في التطبيق، ومن خلال بعض عباراته المباشرة التي كان يخدم بها حديثه غالبًا، وقد عرض للمقيس عليه، ولعلة القياس وأنواعه، أما المقيس عليه فكانت حدوده واضحة عند ابن جني، فقد قاس في أكثر توجيهات على الشائع المضطرب، ومن ذلك قياسه الناسي من قراءة سعيد بن جبير: "ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسِ" [البقرة: 199] على الصفات التي عوملت معاملة أسماء الأعلام.**

**فقد ذهب إلى أن الناس هنا تعني: آدم #، وقد صارت صفة غالبة كالنابغة والصعق والحارث والعباس، ثم ذكر أن هذه الأسماء جميعًا جرت مجرى الصفات في تعريفها، وأن الذي جمع بينها وبين الصفات هو تحملهما معاني الأفعال.**

**وقاس ابن جني أيضًا على القليل النادر، وأكثر من هذا القياس نذكر من ذلك قياسه حذف العائد في إحدى القراءات على قول العرب: "السمن منوان بدرهم" أي: وقد رفض أبو الفتح القياس على الشاذ، ومن أقواله: وهذا لا وجه للقياس عليه، وهذا شاذ، ومحفوظ، والقياس عليه مردود مرذول، ولكنه اضطر في بعض الأحيان إلى ذلك، فقاس قراءة ابن مسعود "ليس البر لأن تولوا وجوهكم" على قوله: {ﯼ ﯽ ﯾ} [النساء: 79] قال: فإن قلت: فإن كفى بالله، شاذ قليل، فكيف قست عليه ليس، ولم نعلم الباء زيدت في اسم ليس إنما زيدت في خبرها، نحو قوله تعالى: {ﭩ ﭪ} [النساء: 123] قيل لو لم يكن شاذًّا لما جوّزنا قياسًا عليه ما جوزناه، ولكنا نوجب فيه ألبتة واجبًا فاعرفه.**

**وقد يتعدد المقيس عليه عنده في بعض القراءات، كما تكرر أحيانًا للغاية نفسها التي أرادها في المرة الأولى، فقد قاس زيادة الباء في قراءة أبي جعفر "يكاد سنا برقه يُذهب بالأبصار" على زيادة اللام لتوكيد معنى الإضافة في قول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **قالت بنو عامر خالوا بني أسد** | **\*** | **يا بؤس للجهل ضرارًا بأقوام** |

**وعلى زيادة ياء النسبة لتوكيد معنى الصفة في أشقري، ودواري، وعلى زيادة التاء للتوكيد في فرسه وعجوزه، وقرر القياس على قول العرب: "السمن منوان بدرهم" في توجيه ثلاث قراءات.**

**وقد تعدَّدت لديه علل القياس وتنوعت، وكان أبرزها علة التخفيف، وذلك نحو: حمله حذف ألف لا في قراءة زيد بنثابت: {ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ} [الأنفال: 25] على حذف ألف أمن، أما من قول العرب: أم والله ليكونن كذا، كما تعددت لديه أنواع القياس فكان منها حمل الفرع على الأصل، حمل النظير على النظير، حمل الشيء على نقيضه، فمثال الأول: وهو حمل الفرع على الأصل، قياسه اسم الفاعل على الفعل المضارع في اتصاله بنون الوقاية إذا اتصلت به ياء المتكلم، وذلك في قراءة ابن محيصن "هل أنتم مطلعون فأطلع"، وقد حذفت فيها ياء المتكلم المفعول به.**

**ومثال الثاني: وهو حمل النظير على النظير، وهو كثير قياسه الجمع بين العوض والمعوض في قراءة أبي جعفر "يا حسرتاي على ما فرطت في جنب الله" فقد ذهب إلى أن أبا جعفر جمع غير الألف المبدلة أصلًا عن ياء المتكلم، وبين ياء المتكلم نفسه، وقاس ذلك على جمع الشاعر بين أداة النداء، وبين الميم المشددة في قوله:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **إني إذا ما حدث ألمَّا** | **\*** | **أقول يا اللهم يا اللهما** |

**ومنه أيضًا قياسه في قراءة الحسن: "ألم يأن للذين آمنوا" فقد ذهب إلى أن أصل "لما" لم، ثم زيدت عليها ما فأصبحت نفيًا لقوله: قد كان كذا، وأن لم نفي فعل يقول: قام زيد فيقول المجيب بالنفي: لم يقم، فإن قال: قد قام قلت: بم يقم، لما يقم، ثم قال أبو الفتح: لما زاد في الإثبات قد زاد في النفي ما.**

**ومثال الثالث: وهو حمل الشيء على نقيضه، فكان نادرًا، ومنه قوله في القراءة نفسها، فإن قلت: قد علمنا أن أصل لما على ما وصفت لم ما، وهما حرفان، وأما الظرف فاسم، فكيف جاز للحرف أن يستحيل فيصير اسمًا، قيل: كان استحلال الاسم لما ركب مع الحرف فاعتد مجموعها حرفًا في قولهم: إذ ما تقم أقم.**

**ومما تجدر الإشارة إليه أن أبا الفتح كان يؤثر قياس النظير على النظير، ويفضله على قياس النقيض على النقيض، فقد قال في توجيه إحدى الشواذ، وإذا جاز أن يجري الشيء مجرى نقيضه، فإجراؤه مجرى نظيره أسوغ.**

**كما أنه قد يوازن بين قياسين لدوافع مختلفة، ويفضل أحدهما تبعًا لأسباب يذكرها، فقد قاس قراءة الحمد لله على قول العرب قنب وعنوة، وقاس قراءة الحمد لله على إبل وإطل، ولكنه فضل القياس الأول لحفظه على حركة الإعراب، ولجريان الإتباع فيه مجرى بين السبب والمسبب، بذا نرى أن القياس قد أسهم في تخريج الشواذ وأسعف ابن جني في كثير من المواقف الصعبة، ولا سيما عندما يعود السماع وهو قياس تعليلي يغلب عليه حمل ظاهرة فرعية على ظاهرة أصلية للشبه بينهما.**

**ننتقل الآن إلى السياق: أيضًا من الأمور التي احتج بها الإمام ابن جني السياق، فقد استدل ابن جني في توجيه بعض الشواذ بسياق القراءة، واستأنس بما توحيه المناسبة في إصدار بعض أحكامه، وكان هذا السياق معنويًّا يستلخص من المناسبة، ولفظيًّا يُعرف مما تقدم أو تأخر، فمن أمثلة السياق المعنوي تقديره إضمار الفاعل في قراءة: "فيرى الذين في قلوبهم مرض" قال: فاعل يرى مضمر دلت عليه الحال أي: فيرى رائيهم ومتأملهم.**

**أما السياق اللفظي: فمنه استدلاله في قراءة مجاهد التي جاءت فيها "بل" في موضع "أم" "أم تأمرهم أحلامهم بهذا بل هم قوم طاغون"، فقد استدل بذلك على مجيء "أم" بمعنى "بل" في الآيات السابقة من السورة {ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ \* ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ} [الطور: 29، 30]، وقد فعل هذا في مواطن أخرى، وكان يقول: "ألا ترى إلى قوله قبل ذلك، ويدل عليه قوله قبله".**

**ومن السياق اللفظي أيضًا: ما يتأخر عن القراءة غير أن هذا التأخر لم يكن طويلًا، فهو لم يتجاوز حدود الآية نفسها، ونذكر منه تعليقه به في توجيه قراءة مجاهد: "إن تُعف عن طائفة منكم تُعذب طائفة"، فقد حمل أبو الفتح تأنيث "تعفى" على المعنى، ثم استأنس بتأنيث تُعذب قال: وزاد في الأنس بذلك مجيء التأنيث يليه، وهو قول "تعذب طائفة" فابن جني حين يستأنس بالسياق الذي جاءت فيه القراءة في المعنى واللفظ، ويبحث عن وجه القراءة في موقعها العام، ولا يقتطعها منه.**

**وخلاصة القول: أن ابن جني قد استعان كغيره من النحاة بالقراءات المشهورة، وبالقراءات الشاذة، وبالحديث النبوي الشريف، وبالشعر وبأقوال بعض العرب، واتخذ من القياس ملجأ يوفر له الاستدلال على كثير من وجوه الشواذ، واستعان أيضًا بالسياق، وساق ذلك كله في إطار متكامل.**

**نظرة ابن جني إلى القراءات الشاذة في كتابه: لم يحفل ابن جني في كتابه (المحتسب) بكل ما رُوي من القراءات الشاذة، وإنما انتخب لنفسه عددًا مما غمض وجه نحوه، أو معناه، وظنه الناس وبعض العلماء مجافيًا لروح العربية ثم أدار عليه الشرح والدراسة، قال: "اعلم أن جميع ما شذ عن قراءة القراء السبعة؛ ضربان: ضرب شذ عن القراءة عاريًا من الصنعة ليس فيه إلا ما يتناوله الظاهر، مما هذه سبيله؛ فلا وجه للتشاغل به. وضرب ثانٍ: وهو هذا الذي نحن على سمته أعني: ما شذ عن السبعة وغمض عن ظاهر الصنعة، وهو المعتمد المعول عليه".**

**من هذا النص أو مما سبق يتضح لنا أن ابن جني نصَّب نفسه مدافعًا عن وجوه الشواذ، وحدد القراءات التي يمكن أن تكون ميدانًا للبحث، وهذا يعني: أنه منتصر بكل ما أورده من وجوه؛ لأنه هو الذي حدد مادة الدراسة، فهل فعل ذلك حقًّا، لقد حاول ابن جني بكل ما أوتي من مقدرة علمية وثقافية، وبكل ما اتسم به من حنكة لغوية أن ينتصر للشواذ، واستطاع إلى حدٍّ ما أن يعثر لها على الوجوه النحوية المناسبة من القراءات، وكلام العرب، إلا أن موقفه منها لم يكن متماسكًا أو موحدًا، بل كان مختلفًا ومتنوعًا، فمرة نجده يستحسنها ويتحمس لها، ومرة يستدل بها على مذهب نحوي، ومرة ينصر بها القراءة المشهورة، ومرة تفتر حماسته فيفضل القراءة المشهورة عليها، أو يصفها بالضعف، أو باللحن، أو بالشذوذ، ومرة يستهجنها، ويحملها على ضرائر الشعر أي: ضرورة الشعر، ولكن الملاك العام لديه هو قبولها والأخذ بها، وقد رأينا أن نقسم هذه المواقف قسمان: المواقف التي توافق خطة كتاب (المحتسب) والمواقف التي تخالف الخطة.**

**المراجع والمصادر**

1. **(المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها)**

**أبو الفتح عثمان بن جني، بتحقيق علي النجدي ناصف وزميليه، القاهرة، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1994م**

1. **(مرشد الأعزة في بيان موقف العلماء من القراءات الشاذة)**

**عبد الكريم إبراهيم صالح، دار المحدثين, 2006م**

1. **)إعراب القراءات الشواذ)**

**أبو البقاء العكبري، بتحقيق محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب, 1996م**

1. **(الاختلاف بين القراءات)**

**أحمد البيلي، بيروت، دار الجبل، 1988م**

1. **(القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي)**

**محمود أحمد الصغير، بيروت، دار الفكر المعاصر, 1999م**

1. **(كتاب المصاحف)**

**أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، بيروت، دار الكتب العلمية, 1985م**

1. **(مختصر في شواذ القران من كتاب البديع أو القراءات الشاذة)**

**الحسين بن احمد ابن خالويه، دار الهجرة، 1934م**

1. **(القراءات القرآنية في بلاد الشام)**

**حسين عطوان، بيروت، دار الجيل, 1982م**

1. **(القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب)**

**عبد الفتاح القاضي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1975م**

1. **(اليزيدي القارئ النحوي دراسة نحوية قرآنية)**

**محمد أحمد علي سحلول ، دار الحسين الإسلامية, 1989م.**

1. **(شواهد القراءات بين ابن هشام وابن عقيل، دراسة نحوية تحليلية)**

**محمد أحمد علي سحلول، دار الطباعة المحمدية, 1993م**

1. **(قراءة أبي السمال العدوي)**

**حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل، الجريس، القاهرة, 2000م**

1. **(قراءة عبد الله بن مسعود مكانتها ومصادرها إحصاؤها)**

**محمد أحمد خاطر، دار الاعتصام, 1990م**